

فلاحظ أن الرسول ﷺ قد أطلق في هذا الحديث اسم "ابن مريم" على المسيح الموعود ﷺ وكذلك أطلق في أحاديث صحيحة أخرى اسم "عيسى" والمسيح".

فمن يكون المسيح الموعود به، ولماذا أطلق الرسول ﷺ عليه هذه الأسماء. وللإجابة على هذا السؤال علينا بحث الموضوع من عدة جوانب منها الجانب اللغوي والذي سيكون مدار بحثنا وخاصة موضوع التشبيه.

يقول مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية سيدنا المسيح الموعود ﷺ في هذا الصدد: "فترك تفاصيل هذا النبأ في وحيه، واختار إجمالاً لطيفاً مبهمًا كالمعمى. وجعل هذا الإجمال متجليًا بالاستعارة ومصبوغًا من المجازات والكنائيات، وأبعد من الأفهام والدرابات والقياسات، ليلوهم أيهم يتبع أمرًا" (الخزائن الروحانية، مرآة كمالات الإسلام ج ٥ ص ٤٢٥-٤٢٦).

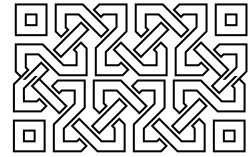
يبين عليه السلام كيف أن الله سبحانه وتعالى استخدم الإجمال والاستعارة والمجاز والكناية في موضوع المسيح وبعثته.

فموضوع التشبيه واسع جدًا ولا تخلو لغة من اللغات إلا لموضوع التشبيه نصيب وافر في الاستخدام العام في المحاورات والاستدلالات وغيرها. وبما أن اللغة العربية هي أم اللغات وأصلها

من جوامع الكلم

قال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير".

يخبرنا رسولنا الكريم محمد المصطفى ﷺ وبيشرنا بمجيء المسيح الموعود في الزمن الأخير عندما يرتفع الإيمان ولا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، فيأتي بالإسلام الصحيح ولو كان بالثريا، وكان الإسلام عاد من جديد، كما قال النبي ﷺ "يعود الإسلام غريبًا كما بدأ..".



* كاتب من الأردن

لنتأمل روعة ما فهمه الشيخ رحمه الله وما ذهب إليه من المعاني في هذه الأمثلة فإنه لم يفهم لمن قال لابن المتوفى أنا والدك بأنه أصبح والده الحقيقي وإنما أراد التشبه بوالده فأطلق على نفسه "أنا والدك".

وكذلك يطلق اسم العالم على التلميذ النبيه النابغ في علم أستاذه ولا يقصد بأنه تحول إلى نفس الأستاذ.

نقول: إذا كان الإنسان العادي يستطيع أن يستخدم هذه الأمور البلاغية في التشبيه والمجاز والكناية كإطلاق أسماء الأشخاص على المشبه بها لتطابق التشابه أفلا يجوز للرسول محمد المصطفى ﷺ وهو أفصح العرب أن يفعل نفس الشيء ويطلق اسم المسيح، وعيسى، وابن مريم، على المسيح الموعود لأتمته لمطابقة التشابه بينهما من حيث المهمة؟؟

وعوذاً للشيخ ابن القيم رحمه الله حيث يستشهد بأبيات شعرية لشعراء جملوها بالتشبيه والمجاز والاستعارة.

قال القائل الشاعر:
 وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمْ
 وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعِي
 وَتَطْلِبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا
 وَيَشْتاقُهُمْ قَلْبِي، وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي
 وَقَالَ آخَرُ:
 خِيَالِكُ فِي عَيْنِي، وَذَكَرْتُكَ فِي فَمِي
 وَمِثْوَاكُ فِي قَلْبِي فَأَتَى تَغْيِبُ؟؟

الإسرائيلي العلي عليه السلام سوف يعود بنفسه لأسباب كثيرة لا تخفى على من أراد الحق، وليس هنا المجال لبحثها. وإنما أراد رسولنا الكريم ﷺ بأن مسيحاً محمدياً مسلماً يُبعث لإحياء دين محمد ﷺ تابعاً للقرآن كما بُعث المسيح الإسرائيلي لإحياء دين موسى عليهما السلام تابعاً للتوراة.

ولأجل هذا التشابه المحكم والتطابق التام من حيث المهمة بين مسيح موسى ومسيح محمد صلوات الله عليهم جميعاً فقد استخدم الرسول ﷺ أقوى درجات البلاغة، وسمى مسيحه الموعود مسيحاً، وابن مريم وعيسى.

ومزيداً من التوضيح نقرأ فيما يقوله الشيخ ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" ص ٣١٦: "ولم يزل في عُرف الناس ومخاطباتهم أن يقولوا: فلان هنا، وهو بين أظهرنا ولم يمت، إذا كان عمله وسنته وسيرته بينهم ووصاياه يُعمل بها بينهم. وكذلك يقول القائل لمن مات: والله ما مات من خَلَفَ مثلك، وأنا والدك. وإذا رأوا تلميذاً لعالمٍ تَعَلَّمَ علمه قالوا: هذا فلان، باسم أستاذه، كما كان يقال عن عكرمة: "هذا ابن عباس"، وعن أبي حامد "هذا الشافعي". وإذا بعث الملكُ نائباً يقوم مقامه في بلد يقول الناس: جاء الملك، وحُكِّمَ الملك، ورَسُمَ الملكُ».

ومنها اشتُقَّت باقي اللغات كما أثبت ذلك المسيح الموعود ﷺ فقد اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة كتابه القرآن المجيد. فلا بد أن تكون هي أم اللغات على الإطلاق في كل الأمور اللغوية ومنها التشبيه.. والاستعارة.. والمجاز.. والكناية.

إن البلاغة والتشبيه متلازمان، فكلما كان التشابه متطابقاً كانت البلاغة أقوى في إعطاء المعنى المراد. ولتوضيح ذلك نورد الجمل التالية. نقول:

- ١- عليٌّ شجاع مثل الأسد.
- ٢- عليٌّ مثل الأسد.
- ٣- عليٌّ أسد.

فالجملة الأولى ذُكر فيها جميعُ أركان التشبيه: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. وهذا أبسط أنواع التشبيه.

أما الثانية فترفع بالبلاغة درجة وذلك بحذف وجه الشبه منها.

أما الثالثة فهي أبلغ من سابقتها لحذف وجه الشبه وأداة التشبه منها.

أما إذا قلنا "جاء الأسد"، نقصد علياً، فهذه أقوى أنواع التشبيه وأبلغه. ولا يفهم أن علياً قد تحوّل إلى الأسد الحيوان المعروف، بل إن شجاعته بلغت حد التطابق والمباشرة بشجاعة الأسد.

ولهذا فقد أطلق الرسول ﷺ على المسيح الموعود ﷺ اسم عيسى، وابن مريم والمسيح، ولم يقصد بأن المسيح



قال آخر:

ساكن في القلب يعمره
لست أنساه فاذكره

قال آخر:

إن قلت: غبتَ قلبي لا يصدقني
إذ أنت فيه لم تغبِ
أو قلت: ما غبتَ قال الطرف: ذا كذب
فقد تحيرتُ بين الصدق والكذب

وقال آخر:

أحن إليه وهو في القلب ساكن
فيا عجب لمن يحنّ لقلبه
ما أجمل وما أروع هذا الكلام لما فيه
من بلاغة التشبيه والمجاز.

ويقول الشيخ بعدها مباشرة: يرد على
اليهود والنصارى:

"من غلظ طبعه وكثف فهمه عن فهم
مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من
ألفاظ الكتب أن ذات الله سبحانه
وتعالى ستحل في الصورة البشرية
وتتحد وتتمزج بهما.. تعالى الله عما
يقول الكافرون علواً كبيراً.

اللهم لا تجعلنا ممن غلظ طبعه وكثف
فهمه كما حدث مع اليهود والنصارى،
وافتح اللهم قلوبنا وقلوب إخواننا
المسلمين إلى الإيمان بالمسيح
الموعود ﷺ... ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ
فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ
عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ
الْأَبْرَارِ﴾.

لكل مثل قصته

إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض

قالوا: إن ثيراناً ثلاثة كانت في أجمة، وكان واحد منها أبيض، والآخر
أسود، والثالث أحمر. وكان في هذه الأجمة أسدٌ، فكان لا يقدر على
الثيران الثلاثة لاتحادها واجتماعها، فأخذ يفكر كيف يتغلب على هذه
الوحدة.

وذات يوم قال الأسد للثورين الأحمر والأسود: «إن وجود الثور الأبيض
بيننا خطر علينا، لأنه يدلُّ علينا ببياضه، أما أنا وأنتما، فالوانا متمائلة،
فلو تركتماني أكله، صفت لنا الأجمة؟ فقالا: دونك، فأكله. فأكله.

ومضت أيام، وجاء الأسد إلى الثور الأحمر، وقال له:

«إن لوني مثل لونك، فدعني أكل الثور الأسود، لتصفو لنا الأجمة.

فقال الثور الأحمر: دونك، فأكله! فأكله.

ولم يبق في الأجمة إلا الأسد والثور الأحمر، ورأى الأسد أنه تمكن من
هذا الثور بعد فقد أخويه. فقال له: أيها الثور، سأكلك لا محالة. فقال
الثور: دعني أنادي ثلاثاً. فقال الأسد: افعل. فنادى الثور بأعلى صوته:
أَلَا إِنِّي أُكَلْتُ يَوْمَ أُكَلِّ الثورَ الأبيض». أي يوم فرط في أخيه وخدع
بعده.

«مجمع الأمثال للميداني»